

المشهد البصري المعاصر في التصوير الجزائري محمد خدة انموذجا.
The contemporary visual scene in Algerian painting, Mohamed Khadda as a model

. غانم فوزية* ، جمعي رضا²

¹ جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، مخبر جماليات، الجزائر ،

fouzia.ghanem.etu@univ-mosta.dz

² جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، مخبر جماليات، الجزائر ،

redhadjemai12@gmail.com

تاريخ النشر: 2024/12/01

تاريخ القبول: 2024/05/06

تاريخ الاستلام: 2024/03/28

ملخص:

يتناول هذا المقال العلمي دراسة في حقل الفن التشكيلي المعاصر الذي شهد ولازال يشهد تطورا في إطاره المعرفي والشكلي ليشمل آليات وأساليب جديدة خاصة بالمشهد البصري في التصوير الجزائري المعاصر حيث استظهر أهم ما مر به التصوير الجزائري من التأسيس إلى المعاصرة، كما تطرق إلى تحليل أعمال فنية معتمدا في ذلك على نموذج لا طالما عرف باتجاهه وأسلوبه المعاصر ألا وهو الفنان الجزائري محمد خدة.

كلمات مفتاحية: المشهد البصري، الفن المعاصر، التصوير الجزائري..

Abstract:

The présentscientifi article amis to study a field in contemporary plastic art which witnessed and still witnessing advancement in its congntive and formal framework. this includes the use of new strategies and methods for visual scenes in the modern Algerian painting. this study discusses mainly all what the algerian painting goes through since its foundation until its current time.it also deals with the analysys of some works of art relying on the algerian article mohammed khaddawhois known for its contemporary stayl.

Keywords: Modern art, contemporary art , the algerian painting .

✳ المؤلف المرسل

1. مقدمة:

إن الحديث عن الفن المعاصر يقودنا بالضرورة إلى إثارة مسألة مظاهر التجديد الشامل عبر تجليات مختلفة التي اقترنت بمفاهيم جديدة ومتنوعة في مساراتها من خلال طرق مبتكرة للتعبير عنها ، وهذا بغية تقديم إشكاليات تعبر عن حضارتنا المعاصرة التي افتقرت للطابع الإنساني وطوقته بسياق آلي تحركه التكنولوجيا ونظم المعلومات ، فجاء بذلك الفن المعاصر لتحرير العالم وتزويده بأساليب عيش جديدة وإبداع تجلت للإنسانية بصيغة فريدة من نوعها عكس صداها في أبهى حلة وترجمت أعمالها للمجتمع، عبر تجليات مختلفة التي ارتبطت بمصطلحات جديدة ومتنوعة وطرق مبتكرة للتعبير عنها، والحال انه تم التعبير عنها بفن فترة ما بعد الحداثة حتى يومنا هذا، ولقد احتوى هذا الفن على منهج خاص به قيد التأسيس والبلورة، هذا وقد بدت ملامح هذا الفن واضحة في بدايات القرن العشرين، لتجسيد فكرة مفادها تكوين عمل فني تشكيلي هادف حكمت أبعاده بين ثنائية "الخطاب والرسالة" لتحقيق اكبر قدر ممكن من التواصل والتفاعل الاجتماعي بين الفنان ومحيطه وهذا لا يأتي إلا إذا وفقط من خلال إسهاماته الخاصة في توطيد العلاقة بينهما، مستعينا في ذلك بالتكنولوجيا لتوصيل رسالة صقلت أفكارها بمعالجة مواضيع انطلقا من قضاياها وواقعها اليومي، غير أن الفن المعاصر لا يزال قيد الإنشاء والتطوير في ذلك، فكان شأنه شأن النهج الفني الذي ساد في فترة ما بعد الفن الحديث وحتى الآن، وهذا لا يلغي حتمية وضرورة تشكله بالصورة الكاملة المبتغى تجسيدها على أرض الواقع، غير أن بعض ملامح هذا النهج بدت واضحة كونه يقوم على التفكير الإبداعي المندفع نحو الخروج عن مدارس الفن التقليدي فتنوعت أطره بمزج المفاهيم بأسلوب عرض غير مقيد يقاوم قدر المستطاع في طرح السطحية والبعد الأحادي فأتاح بدوره في ظهور الفرصة للجمهور والتكنولوجيا فبدت لنا واضحة في الأعمال الفنية وسيجت طبيعتها بدنياميكية تفاعلت مع محيطها، وتأثرت

بالعولمة وتعدد الثقافات لتضم بذلك حقول الفن كما أكسبته في ذلك روح متجددة تضافرت في إنتاجها طرق متعددة تزداد يوما بعد يوم ابتداء من الفن التجريدي و التشكيلي والفن المفاهيمي إلى فن تشكيل الأحبار والألوان... إلخ، كل هذه الأدوات تم استخدامها لإنتاج الأعمال الفنية فترات للنظر لها في حبكة فنية جديدة لقيت صداها كمرآة عالمية تشع كبدائية انطلاق لروح الفن.

الإشكالية:

هناك من يقول بأن الفن التشكيلي الجزائري لم ينشأ إلا في ضل الوجود الفرنسي وذلك انطلاقا من الرحلات الاستشرافية.

فهل عرفت الجزائر أصلا الفن أم كان مجرد امتداد للوجود الفرنسي، ولم يعتبر حصيلة لتطور تاريخي يسبق الوجود الفرنسي بكثير إلى مراحل ما قبل التاريخية، وأن هذا الفن هو تراكم لرواسب حضارية متنوعة عرفت عايشتها الجزائر فيما مضى.

الفرضيات:

- الفن الجزائري أصوله أوروبي بامتياز وما يقال عنه إلا ما قد قيل أو ما يقال عن الفن الأوروبي بشكل عام والفن الفرنسي بشكل خاص.
- لجزائر عرفت إبداعا فنيا منذ القدم ولكن هذا الفن لم يعرف تجولا أو نقلة عالمية إلا من خلال الوجود الفرنسي في الجزائر بمجيء الفرنسيين، تأثر الفن الجزائري الموجود منذ القدم بكل العناصر التي تقف وراء الفن الأوروبي الحديث والمعاصر.
- الجزائر لم تعرف فنا معاصرا بالقواعد التشكيلية المعروفة وعلى مستوى المواضيع والمدارس إلا عبر مجيء الفرنسيين.

2.مدخل تعريفي:

2.1 المشهد:

(scène) ودلالاته اللغوية : تعود جذور كلمة مشهد إلى تراجيديات العهد الإغريقي، ومما كان يراد بها أنها "حوار مسرحي يدوم وقتا معينا، ويجرى في فترة زمنية فاصلة بين تشيدين تقوم بهما الجوقة"

المشهد في الاصطلاح اللغوي هو "المجمع من الناس...محضر الناس " فقد لا تطلق هذه الكلمة على مكان خال، فالناس هم من يمنحون المكان حيويته ووجوده، فيمتلئ بما يحملونه من أحداث جديدة وقديمة بمعنى إن المشهد وثيق الصلة بالمكان بالموازاة مع الأشخاص¹.

2.2 المشهد البصري:

هناك بعض المصطلحات والتعاريف المتداخلة، لكن العديد من المصطلحات تملك معان متشابهة. المشاهد البصرية المستدامة، على سبيل المثال، "تلبي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتهم الخاصة"²

2.3 الفن البصري:

هو مصطلح متكون من شقين (optical) وتعني بصري و (art) وتعني فن والمعنى الإجمالي يعني فن بصري ... أما الموسوعة العربية فقد عرفت الفن البصري بأنه الانطباع الخاطيء الذي يحدث عند المشاهد والذي يخالف الحقيقة وهو لا يقتصر على حاسة البصر بل يمتد ليشمل الحواس الأخرى كاللمس و السمع و الشم و الذوق.

ويمكن القول استنادا على التعاريف بأن الفن البصري (البعض يطلق عليه الخداع البصري) هو نوع من أنواع الفنون التي تعتمد على خاصية إحداث انطباعات مخالفة لحقيقة

الشكل البصري الواقعي وبالاتماد على الظاهرة البصرية.³

2.4 التصوير والتصور:

التصوير هو: (إبراز هذه الصور إلى الخارج بشكل فني) فالتصور إذاً هو: العلاقة بين الصورة والتصوير. وأداته الفكر فقط. وأما التصوير فأداته الفكر واللسان واللغة. والتصور - الذي هو لحاظ الفكر في صور الحقائق - يختلف شدة وضعفاً باختلاف الفكر الذي هو أداته. فتصور الشاعر جمال الفن في إحدى ظواهر الحياة إنما هو الإحاطة بدقائقها، وإفشاء السر الذي كانت له. وفي كل صورة فنية طبيعية حقيقية، أو صناعية خيالية، جمال فني ظاهر أو خفي، فالفنان يمتاز عن غيره بتصور هذا الجمال الخفي، ثم لا يكون فنانياً حتى يصوره تصويراً فنياً. فكل من ابدع في التصوير كان مبدعاً في التصور⁴.

الصورة:

الصورة في اللغة: الصورة: إحدى ظواهر الطبيعة، وهي حقيقة أو خيال.

جاء في لسان العرب: الصورة في الشكل، والجمع: صور - صور، صور، وقد صورته فتصور.

وتصورت الشيء: توهمت صورته، فتصور لي، والتصاویر: التماثيل.

قال ابن أثير: الصورة ترد في لسان العرب على ظاهرها، وعلى معنى حقيقة الشيء و هيئته، وعلى معنى صفته، يقال: صورة الفعل كذا وكذا، أي: هيئته، وصورة الأمر كذا وكذا، أي: صفته.

كما يرى جون ديوي ((Jhon dewey) إن الصورة إنما تشير إلى طريقة خاصة في النظر إلى الأشياء والإحساس بها.

والصورة العنصر العضلي القابل للفهم في موضوعات العالم وأحداثه.

إن الصورة هي تنظيم لعناصر المادة وتشكيلها في صورة جمالية.⁵

2.5 الفن المعاصر:

الفن المعاصر هو إحدى الفنون المواكبة للعصر الحالي، والمرتبطة ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بمختلف القواعد الفاعلة في تاريخ تطور المجتمعات مادياً وفكرياً حيث يعمل هذا الفن على تغيير الطبيعة وتحويلها وذلك تلبية للحاجيات الإنسانية المتنامية.

مفهومه:

يقصد بالفن المعاصر "فن ما بعد الحداثة" فن تشكيلي بكافة فروعه وباجتماع عناصره، الاسم الجامع لما يمارسه الإنسان من تجميع للعناصر والخامات التي يعبر بها عن رسائله الموجهة بطريقة جديدة ومعاصرة...⁶

يكشف عن حقيقة الوجود ومحاكاة الإبداع الجمالي في مسيرة الحياة بأسلوب جميل ومعاصر، يقول الفيلسوف الألماني "هيوغو" أن مهنة الفن هي الكشف عن حقيقة الوجود...⁷

فالفن له دور فعال في معرفة الحقائق الإنسانية. حيث أصبح الفن يشكل جزءاً هاماً من العلوم الإنسانية والتجريبية، وهو أحد ضروب المعرفة⁸.

وعليه إن الفن المعاصر هو شكل من أشكال النشاط الإنساني، وأن أهميته تتحدد من حيث هو عامل أساسي في هذا النشاط المكون لمجمل ثقافة الإنسان، وهو الكائن الاجتماعي الذي يعمل على تغيير الطبيعة وتحويلها تلبية لمتطلباته المتنامية والمتغيرة وفقاً لظروفه الاجتماعية وتطورها⁹.

فمنذ إطلالة القرن العشرين وظهور الكمرا أصيب الرسم بهزة عنيفة فقد نافست الصورة الفتوغرافية مهارة الفنان في محاكات الواقع، فتحول ذهن الفنان إلى عين ترى الواقع بعدسات جديدة للبحث عن أنماط مخالفة. فظهر (كوخ) الذي يرى الصورة التعبيرية وظهر (ماتيس)

الذي يرى الصورة الزخرفية، و(غوغان) في البقعية و(سيزان) في الهندسية. وهذه الرؤى المغايرة التي توصلوا إليها كانت نتيجة متقدمة لاكتشافات الانطباعية، ومن هذا المنطلق كان لمخرجات الصورة الفنية التي تناوبت في الظهور بين التشخيص والتجريد عبر المدارس الفنية المتلاحقة¹⁰.

كما لا يفوتنا ذكر أهم مجالاته التي تنوعت وإمكانية تصنيفها إلى المجالات التالية:
الفن البيئي والفن الحركي، فن الخامات غير التقليدية والفن البنائي.
مميزات الفن المعاصر:

تميز الفن المعاصر بما يلي:

التغيير السريع.

- الفوز بأعلى نتائج التسويق الفكري والمادي على حساب مفاهيم الذوق الفني التقليدي.

- فن متحول من كونه ظاهرة أوروبية إلى حركة عالمية.

- ارتباطه المباشر بالمادة والتقنية والتجريب وما تقدمه المصادفة.

- شكل فن ما بعد الحداثة اندحار اللوحة الفنية بمفاهيمها التقليدية.

- كما تميزت مرحلة ما بعد الحداثة بالتوظيف المباشر لأشياء طبيعية ومصنوعة.¹¹

3. الفن التشكيلي الجزائري من التأسيس إلى المعاصرة:

إن الفن التشكيلي الجزائري كغيره من الفنون الأخرى ليس وليد العدم وذلك لما عايشه ومر به بداية من ظهوره وصولاً إلى ما هو عليه ليومنا هذا وذلك لمروره بعدة مراحل.

3.1 مرحلة الحقب الوسطى:

برز الفن التشكيلي الجزائري نتيجة لتلك البذور التي زرعتها الحضارات المتداولة عليها "فضلا عما تركته الحضارات المتعاقبة من الفينيقيين، الذين عمروا الجزء الشمالي الساحلي من الجزائر قرابة ألف سنة. ومن بعدهم الرومان الذين تركوا بصماتهم فيما نحتوا وشيدوا من عمران، و الوندال و البيزنطيين. إلى أن فتح الله على شعبنا برسالة الإسلام والعروبة فاعتنق الشعب ديناً حنيفاً تحريراً وتلقف لغة وانصهر طواعية في ثقافة عالمية وإنسانية. هي الثقافة العربية¹²" مما أكسب الثقافات الجزائرية طابعاً إسلامياً أساسه المعايير الإسلامية حيث أصبحت الحضارات العربية الإسلامية مصدراً أساسياً في إلهام الفنان الجزائري المعاصر، وقد خلفت هذه الحضارة معالم كثيرة في الجزائر متفشية هنا وهناك، ووطأ الإسلام أرض الجزائر من أربعة عشر قرناً نتج عنه إنشاء مدن وقصور ومساجد مفتونة في عناصرها المعمارية والزخرفية بعمارة الخلافة بالشرق العربي، وميزة من أجدادنا نقلت هاته الحضارة العربية إلى أقطار الأندلس. ودام ازدهارها ثمانية قرون¹³ وكانت المرحلة النيولينية المرحلة الأكثر تميزاً في حياة شمال إفريقيا فقد جاءت بالفلاحة وتربية المواشي كما أدخلت الطرق الفنية في صناعة الخزف المزخرف¹⁴.

في صدد ذلك نشير إلى "معالم الفن الفينيقي القديم وما تحمله لغة ذلك العصر (التيفيناغ) من رسوم وأشكال. و قد مست الفن الجزائري القديم بميسم خاص. إذ نجد رسوم الطاسيلي الصخرية بوصفها أقدم أثر شكلي في بلادنا، حاضرة في أعمال فننا منذ فجر التاريخ وحتى يومنا هذا. رغم تأثر منطقة المغرب العربي والجزائر بعد ذلك بالفن الإسلامي، سواء منه الأموي أو العباسي، والفاطمي، والأندلسي، والعثماني... الخ¹⁵" ويرى آخرون أن هذه الرسوم استعملت بغية تحقيق أغراض مختلفة، إما سحرية أو تسجيلية يسجل

بها الإنسان الأحداث اليومية التي يعيشها ،وتعتبر هذه الرسوم خير شاهد على تحول المنطقة من خصبة غنية بأشجارها وأزهارها والحيوانات التي المختلفة التي كانت تعيش فوقها إلى منطقة جرداء¹⁶

3.2 مرحلة الاحتلال الفرنسي:

حرص الاحتلال الفرنسي على زرع بذور ثقافته وفنونه بعد دخوله الوطن العربي ،حيث روج الرسامون الفرنسيون للفن الغربي في الجزائر¹⁷ وقتها "بدأ الظالم يغشي الجمال، و الجذب يجتاح الخصرة، والهمجية تدمر المدينة، والحدق الصليبي المغلف بالهزائم القديمة على أيدي الجزائريين، يتجسد في مشروع كولونيالي إفنائي واستتصالي، لكل ما هو عربي ومسلم في الجزائر، قد دامت التراجيديا 132 سنة، عاش فصولها شعبنا وقاومها بجميع الوسائل، حتى هزم الهمجية الفرنسية، ومن ورائها الهمجية الكولونيالية الأوروبية، في حرب شعبية هبّ لها الشعب الجزائري ومن ورائه الشعب العربي ،والشعوب المحبة للسلام."¹⁸

سعى المستعمر الفرنسي إلى قمع الهوية الجزائرية ومسح إرثها التاريخي والثقافي والفني "فالاحتلال قد فجر المقاومة، واستمر الصراع عقودا طويلة، وقد نتج عن ذلك اقتلاع جذور المجتمع وبعثرة الحياة القبلية وزعزعت الاستقرار في الوطن كله. ومع اختفاء الطبقة المستهلكة لنتاج الصناعات والفنون اختفت أيضا فئة المختصين في ذلك واضمحلت حرفهم وصناعاتهم."¹⁹

شهدت العشرية الأولى من القرن العشرين ولادة عدة مدارس للفنون الشعبية والصناعات التقليدية متلقية الدعم من إدارة جلنار وتم فيها السعي الى استرجاع الأساليب

القديمة في الطرز العربي وصباغة الزرابي والسجاد والأغطية، وكذلك أشغال الإبرة. وقد مسّ هذا النوع من المدارس والنشاط كلا من العاصمة وقسنطينة وبجاية ووهران وتبسة²⁰. رغم استبداد المستعمر للفنون الجزائرية وقمعه لها إلا أنها تشبّثت مبادئها وبقية بازغة من خلال جملة من المدارس الفنية على رأسها مدرسة الفنون الجميلة بالجزائر العاصمة. نذكر بعض الموضوعات التي أوحّت بها الجزائر إلى الفنانين الفرنسيين الذين مثلوا بالدرجة الأولى الروح الاستعمارية وأعطوا الغلبة في إنتاجهم للجيش الفرنسي. وقد دخل الفنانون الأماكن المحرمة على أمثالهم من قبل، فأظهروا في فنهم أنهم دخلوا الحريم، والحمامات والمساجد وهذه الأخيرة استباحها الفرنسيون بالدخول والهدم ومحوها. كما أن الصورة التي تركها الفنانون عن الجزائريين تمثل طابع العنف والوحشية في الغالب. كما اتخذ الكثير من الفنانين موضوع الحيوانات في صورهم، فنجد منها الغزال والأسد والحصان والجمال والكلب والحصان والطيور على اختلاف أشكالها وتظهر أحيانا الألفة بين الإنسان والحيوان²¹.

3.3 مرحلة الاستقلال وبناء الدولة الجزائرية:

لقد شهد الفن التشكيلي الجزائري بعد الاستقلال الفترات الزمنية التالية: فترة شروق شمس الاستقلال وبناء الدولة الجزائرية، فترة الثمانينات، وفترة التسعينات وبداية القرن الواحد والعشرين.

أ.الفترة الأولى: شروق شمس الاستقلال وبناء الدولة الجزائرية:

بعد سنوات من الظلم والاستبداد جاء الاستقلال وسطعت شمس الحرية وبدأ الفنانون الجزائريون يأخذون طريق العودة إلى الوطن. كما بدأت تتخرج مجموعات من الرسامين من مختلف أكاديميات العالم. كما ساهمت المدرسة الوطنية في الفنون الجميلة، وجمعية الفنون الجميلة بالجزائر، والمدارس الجهوية للفنون في كل من قسنطينة وهران في تخريج دفعات من الفنانين التشكيليين. و قد ظهرت مجموعة من الفنانين العصاميين الذين كونوا أنفسهم بأنفسهم، وذلك بتأثير المعارض الفنية التي تقام هنا وهناك، وكذلك بفضل احتكاك هؤلاء بالفنانين المحترفين.

همت الدولة الجزائرية منذ السنوات الثورية حتى فجر الاستقلال في بعث مجموعات إلى الخارج وذلك لتكوين أبنائها. في مختلف المجالات، من بين هذه المجالات الجمال الفني كالفن التشكيلي. ومن الفنانين الذين ذاع صيتهم إبان الثورة التحريرية الفنان عبد القادر هوامش والذي كانت بدايته كرسام هاوي بتونس، بتبين من الثورة فأرسلته إلى إيطاليا لتطويع موهبته حيث دخل أكاديمية الفنون الجميلة بروما ومن أبنائها أيضا فارس بوخاتم الذي كان ضمن صفوف جيش التحرير²².

تميزت هذه الفترة بسيطرة الفنانين المخضرمين "رغم وجود بعض الفنانين الذين أثبتوا وجودهم خارج هذه المجموعة، وشهدت هذه الفترة ميلاد الاتحاد الوطني للفنون التشكيلية، الذي قام بإنشائه مجموعة من الفنانين المخضرمين، نذكر منهم على سبيل المثال كل من: بشري يلس الذي كان أول رئيس للاتحاد، علي خوجة، مصطفى عدان، فليجاني خيرة، أحمد اسياخم محمد وعيل، شكري مصلي، محمدمتام وغيرهم وذلك سنة 1963م²³."

تكاد تنفرد الجزائر بالاهتمام بفن المنمنمات عن غيرها من البلدان العربية وهذا الفن يرجع في أصوله التاريخية إلى فن التصوير الإسلامي ولقد كان الفنان المسلم يميل بطبيعته

إلى التجريد متأثراً في ذلك بتعاليم الدين الإسلامي ويرجع الفضل في إحياء التراث الفني العربي الإسلامي في الجزائر إلى الفنان الكبير محمد راسم عميد الرسامين الجزائريين²⁴.

ب. الفترة الثانية :فترة الثمانينات :

اتسمت هذه الفترة بالتطور في الأحداث الثقافية التي كان لها أثر على الحركة الثقافية والفنية التشكيلية، ولقد تم إنشاء المدرسة العليا للفنون الجميلة في نفس مقر المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر، مما أدى إلى رفع مستوى الفنانين فنيا وثقافيا. وقامت وزارة التربية بإنشاء أقسام خاصة بالمعاهد التكنولوجية حيث تخرج منها أساتذة مختصين في تدريس الفنون التشكيلية. كما برز في هذه الفترة الاتحاد الوطني للفنون الثقافية. أما في مجال المنشآت الثقافية فقد تم بناء عدة هياكل ثقافية منها منشآت رياض الفتح التي تضم مقام الشهيد. وقامت الدولة أيضا ببناء قصر الثقافة الذي يسمى باسم شاعر الثورة الجزائرية (مفدي زكريا)²⁵.

عايشت هذه الفترة بروز مجموعات عديدة وذلك من خلال تنظيم مهرجان سوق أهراس الوطني والدولي للفنون التشكيلية ابتداء من 1980م ومن بين هذه المجموعات مجموعة باتنة، مجموعة بشار، مجموعة بسكرة، مجموعة المسيلة ومجموعة سوق أهراس...²⁶

ج. الفترة الثالثة: فترة التسعينات :

شهد الفن الجزائري ركودا إبان فترة التسعينات نتيجة للأحداث المأساوية التي عاشتها البلاد وأثرت سلبا على التنمية الوطنية، وعلى الحياة الوطنية بصفة عامة. وتسببت هذه الأحداث في هجرة الكثير من الأدمغة الجزائرية إلى الخارج، ومن ضمنهم العديد من الفنانين

التشكيليين الذين هاجروا أرض الوطن، واستقروا بفرنسا وبعض البلدان الأوروبية والبلدان الشقيقة. ومن الأحداث التي ساهمت في هذه الهجرة مقتل السيد أحمد عسلة مدير المدرسة الوطنية للفنون الجميلة بالجزائر وابنه رابح داخل مقر المدرسة²⁷ ومن بين الأحداث المأساوية الإرهاب فقد "وقف الفنان الجزائري في وجه الإرهاب واستمر في النضال رغم كل التهديدات التي طالته. حاملا روحه على كتفه، مؤمنا برسالته، فكان الثمن باهظا حيث اختطف الإرهاب الأعمى فنانين ومبدعين ذنبهم الوحيد أنهم رفضوا الظالم، ففقدت الجزائر فلذات أكبادها من أمثال عبد القادر علولة، عزالدين مجوجي والشاب حسني²⁸ وبالتالي فإن فن التصوير الجزائري المعاصر يرجع في أصوله إلى مصدرين رئيسيين، فهو يرجع من ناحية إلى الفن الموروث عن فن التاسيلي والفن البربري، والفن العربي الاسلامي .

اما المصدر الثاني فهو تأثير المدارس الغربية التي روجته مدرسة الفنون الجميلة الرسمية، وبعض المراسم الخاصة التي كان يقوم بإدارتها بعض الفنانين الفرنسيين الذين كانوا مقيمين بالجزائر قبل الاستقلال، ومن بين هذه المراسم مرسوم جمعية الفنون الجميلة، حيث ساهمت مدرسة الفنون الجميلة والماراسم الفرنسية في نشر تعاليم الفن الغربي بمختلف مدارس، فنشا أغلب الفن الجزائري المعاصر متأثرا بهاته المدارس والتي شملت مختلف النزعات والاتجاهات الفنية.

والحقيقة أن المدرسة الجزائرية المعاصرة لم تعرف النور إلا بعد الاستقلال، وذلك بظهور جيل جديد أكثر حماسا في مسعاه، فهم جيل الشباب الملتزم الذين يؤكدون على جماهيرية الفن بين صفوف الفلاحين والشغيلة، وينادي بأهمية الثورة الثقافية خلال الفن في الأرياف وبين صفوف الطبقة الفلاحية²⁹.

ومما سبق ذكره إن الفن المعاصر هو ذلك التجديد الشامل الذي لامس الأسطح الفنية وطرق التعبير عنها بداية من نظرة الفنان للمجتمع والفن ونظرة المجتمع للفن، وذلك كردة فعل نتج عن التطور الذي أحدثته الثورة الصناعية، فكان لابد للفن من قفزة نوعية حين أصبح يطلق عليه "فن اليوم" وذلك لمواكبته لجل التطورات، ونخص بالذكر هنا التصوير الجزائري المعاصر من خلال فنانين أبدعوا في المجال الفني التشكيلي كالفنان محمد خدة.

3.4 الفنان محمد خدة:

رسام من مواليد 14 مارس 1930م بمستغانم، تعلم الرسم عن طريق المراسلة سنة 1947م، من ضمن أعماله تصميم بعض المعالم والأعمال الميدانية خاصة مقام الشهيد بالمسيلة 1981م وسجاد حائطي للمطار الدولي الملك خالد بالرياض بالإضافة إلي قيامه بالعديد من الديكورات وتصميم الملابس لعدة مسرحيات جزائرية، وكذلك قام بالعديد من الرسوم لمجموعة من الكتاب من بينهم جاك سوناك وبشير حاج طاهر. كما انه اقام مجموعة من المعارض الشخصية منها بباريس بالإضافة إلى عدة معارض متنقلة ، كما نظم عدة معارض بالخارج (باريس، برلين...) ومن بين أهم المعارض التي شارك فيها نذكر قاعة سيمار بباريس، المركز العالمي للفن الحديث بسويسرا، ولقد كان للفن الجزائري نصيب من هذه المشاركة (بغداد، دمشق، نيويورك...).

في 4 مارس 1991م فقدت الساحة الفنية الجزائرية أهم قلماتها وروادها، إلا أن وفاته لم تمنع من تواجد العديد من أعماله في المتحف الوطني للفنون الجميلة الجزائرية ومتحف الفن الحديث بباريس، وفي مختلف المنظمات والهيئات الوطنية والعالمية³⁰.



4. تحليل لوحتي القصبات لا تحاصر و الأرض تمنح نفسها دائما للبدر للفنان محمد خدة:

-طريقة "لوران جير فيرو" Laurent Gervereau

الشكل (1) : لوحة القصبات لا تحاصر للفنان محمد خدة

المصدر : <http://www.khadda.org/timelapse/1968>

4.1 تحليل لوحة " القصبات لا تحاصر ":

ا. الوصف:

أ- الجانب التقني:

- اسم صاحب اللوحة: محمد خدة
- اسم اللوحة: القصبات لا تحاصر
- تاريخ ظهورها: 1960 - 1980
- نوع الحامل و التقنية المستعملة: ألوان زيتية.
- حجم اللوحة: 122×244.

ب- الجانب التشكيلي:

جاءت اللوحة في إطار بقياس (244سم × 122سم) في شكل مستطيل، حيث نلاحظ في اللوحة مجموعة من الأشكال و الخطوط الهندسية التي شكلت لنا النسيج العمراني و التي توحى لنا بمدينة الجزائر و الذي جاء في الجهة العلوية للوحة، أما الجهة السفلية فهي عبارة عن لون أحمر و كتابة خاصة بالفنان. و وجود خطوط منحنية و حلزونية مروعة في كل اللوحة التي ترمز إلى الأسلاك الحديدية الشائكة الدالة على الاستعمار في الجانب الأيمن من اللوحة، خطوط أفقية سميكة تشكل فوهات البنادق، أما الجزء السفلي خطوط متشابكة تشكل لنا حروف و كتابة.

استعمل الفنان مجموعة من الألوان. فنجد اللون الأزرق الذي يشمل كل المساحة، و اللونين الأحمر و الأسود المتشابكين و اللون البني بتدرجات فاتحة و لمسات من اللون الأخضر

- علاقة العنوان باللوحة: نلاحظ أن العنوان منسجم و متكامل مع اللوحة , فالشكل عبارة عن صورة لمدينة الجزائر أثناء الاستعمار.
- علاقة اللوحة بالفنان: الفنان "محمد خدة" جزائري عصامي تجريدي, يتميز بالنوع الفني الذي يعبر عن الواقع المُعاش وعلى أحاسيسه و مشاعره. أما عنوان اللوحة فهي رمز الهوية الوطنية و هذا ما يؤكد مدى تمسك الفنان بالهوية و العادات لتتوارثه الأجيال بعده.

ج- القراءة التضمينية:

تتضمن اللوحة الفنية طريقة أو أسلوب تجريدي بحت, و التي تعكس لنا التراث الحضاري و الثقافي و ذلك باستخدام عنصرين أساسيين من الشكل العمراني, ألا وهو القسبة العنصر الآخر الاستعمار. فهو منظر طبيعي غير تشخيصي , حذف منه الفنان بعض الأبعاد و ترك بعضها في وضعية أفقية, لكي يجعل المتأمل في اللوحة يرى أن النسيج العمراني أعلى اللوحة وكأنه يحلق في السماء لأنه لا يمكن أن يحاصر, أم الجهة السفلية من اللوحة فهي مزيج بين اللونين الأحمر و الأسود. يظهر في الجوانب الأسلحة و البندقيات التي أرادت الإطاحة بالمدينة و كذلك رشاشات العدو و لكن لم تظهر ملامحه. نلاحظ أن المدينة في الأعلى, بعيدة عن الأسلاك الشائكة و عن الأسلحة. فالقسبة بعيدة عن كل الصراع المجسد في المستوى الأول السفلي للوحة, و هنا تتجلى فكرة القسبة لا تحاصر.

تعتبر القسبة رمز الهوية الوطنية للصراع, فهي تظهر في اللوحة ساكنة و هادئة بعيدة عن كل الصراعات و الاضطرابات التي وضعها الفنان في مقدمة العمل, و هي أيضا روح و ضمير و حضارة للمقاومة تمنع دخول المستعمر.

د - الألوان ودلالاتها:

اللون الأحمر و اللون الأسود المتشابكان يرمزان إلى الحرب و الصراع، أما اللون الأزرق و الذي يشمل مساحة اللوحة فهو يرسم إلى الهدوء. جاء في الجهة العلوية للوحة و فيه القصة الذي يعني أنها في أمان. و استخدم اللون البني بتدرجاته و بمعيار قليل لإيهام المتلقي بألوان غير موجودة. و لا يوجد انسجام بين الألوان، لأن اللونين الأحمر و الأسود قد طغيا على باقي الألوان و منها الأزرق. يظهر



العمق في القصة، حيث أنها جاءت في المستوى الثاني للهوة بعيدة عن المستوى الأول.

أما الضوء فنلاحظه في الجهة العلوية للوحة و الذي استخدمه باللون الأزرق

الفتاح.

الشكل (2) : الأرض تمنح دوما نفسها للبدر

المصدر : <http://www.khadda.org/timelapse/1968>

الفراغ في اللوحة جاء في الجزء العلوي لأن الفنان وضع النسيج العمراني تقريباً في الوسط، كما نلاحظ الفراغ بين القصبات و بين الجزء الأمامي الذي يحتوي على أشكال و ألوان و التي توحى لنا بوجود حركة في العمل افني.

هـ-نتائج التحليل:

- إبراز الجانب الثقافي الحضاري في الجزائر عامة و خاصة بالقصبة.
- عكست اللوحة الفنية أهم القواعد المدرسة التجريدية
- إبراز هوية الفنان " محمد خدة " و مدى تمسكه بالهوية الوطنية و دفاعه عن وطنه.
- مزج الفنان بين الرسم التجريدي و الخط العربي.

4.2 تحليل لوحة الأرض تمنح دوما نفسها للبدر:

أ-الجانب التقني:

-اسم صاحب اللوحة: محمد خدة

-اسم اللوحة الأرض تمنح دوما نفسها للبدر

-تاريخ اللوحة: 1968

-نوع الحامل المستعمل: ألوان زيتية

-القياس: 130 × 162سم³¹

ب-الجانب التشكيلي:

جاءت اللوحة في إطار (130 × 162سم) على شكل مستطيل بأسلوب تجريدي محض، نلاحظ أن اللوحة تحتوي على مجموعة من الألوان و الأشكال من خطوط منحنية و أفقية بنسبة قليلة و غير قوية و متداخلة فيما بينها. أما الألوان فنجد

اللون البني بتدرجاته و كذلك الأسود الذي يشكل بعض الحروف, إضافة إلى اللونين البرتقالي و الأخضر الفاتح.

اللوحة عبارة عن كتل لونية توحى لنا بالأرض و التي جاءت باللون البني و هو لون ترابي بدرجاته , و كأنها قطعة مقسمة و محروقة, و نجده أيضا بدرجة داكنة على الجانب الأيمن للوحة و كأنه ينتهي إلى التكوين الأول و في الجانب الأيسر كأنه يد الإنسان يطالب بشيء ما.

و جود اللون الأزرق الفاتح و لكن بنسبة قليلة و خفية نوعا ما و اللون الأسود القاتم في الرموز الموجودة على الوسط.

ألوان باردة تتخللها بعض اللمسات الصفراء و كأنها أشعة الشمس, أما الأشكال فهي غير معروفة, متكونة من مستوى واحد مسطح.

- علاقة العنوان باللوحة: تحيلنا اللوحة من خلال العنوان إلى الأرض تمنع دائما نفسها للبدر, أي الأرض لمن يريد الاستثمار فيها و خدمتها, فهناك توافق و انسجام بين العنوان و الشكل, فهي علاقة مباشرة.

- علاقة اللوحة بالفنان: إن علاقة بين العمل الفني و الفنان "محمد خدة" تأثيرية, فقد رسم الواقع الذي يراه آن ذاك بأسلوب تجريدي ممزوج بالخط العربي المتمثل في بعض الحروف

ج- القراءة التضمينية:

الأرض تمنح نفسها للبدر لوحة فنية تجريدية, تميزت بكثرة الرموز, فقد أخذ الفنان "محمد خدة" الفكرة من علاقة الفلاح بالأرض, حيث أن مجموعة من الفلاحين لم يكن لديهم المعدات الكافية و مع سوء المعيشة, و ذلك في عام 1968م و هي

فترة الحراك السياسي، حيث وجد الفلاح صعوبة من قمع المستعمر و قلة الوسائل الفلاحية، فهي لوحة فنية تجريدية ضد الواقع الممارس في تلك الفترة عليهم. استخدم الفنان التركيبية اللونية أكثر من الخطية، فاللون البني و هو لون التراب الذي يشمل كل اللوحة و الذي يوحي لنا بالأرض، فهو لون التربة الخاصة بالزراعة المحروثة، و اللون الأزرق كذلك يعطي مظهر المياه الخاصة بالري و السقاية، لأن الأرض لا تنتج من دون الماء، أما اللون الأخضر الفاتح فيرمز إلى الطبيعة، أي إلى الزرع.

استخدم الفنان الألوان الباردة و التي توحى للناظر إلى برودة الأرض، و إلى بعض اللمسات الصفراء التي ترمز للضوء و الحرارة. أما اللون الأسود و الذي يرمز إلى الشدة و الحزن و لكن جاءت في الحروف التي يمكن معرفة منها (حرفي النون و التاء) و اللذان يظهران على الجانب الأيسر في الجزء العلوي. وجود انسجام و توافق بين الألوان من استخدام الألوان الباردة و بدرجات مختلفة و التي هي الأخرى مع العنوان.

استخدام اللونين البني القاتم و الأسود لتحديد مناطق الظل، أما اللونين الأصفر و الأزرق الفاتح دلالة لوجود الضوء.

وجود حركة في اللوحة من خلال الخامات اللونية و الخطوط، التي تهدف إلى الأرض لمن يريد استثمارها، فهي ليست لملك أحد.

نلاحظ وجود توازن و إيقاع في اللوحة من حيث أن الفنان قد جسد المشهد كما هو في الواقع و بألوان متناغمة.

د - نتائج التحليل:

- تحقيق الانسجام والتوافق بين المضمون و الشكل و العنوان.

- حقق الفنان "محمد خدة" الهدف من الفكرة و مدى استيعاب المشاهد أو المتلقي إليها.

- استخدامه للألوان التي جسدت الفكرة.

5.الخاتمة:

لقد حاولنا في حدود المعطيات التي تتوفر لدينا أن نسلط الضوء على الفعل الفني المعاصر عامة والتصوير التشكيلي الجزائري خاصة وذلك بتسليط الضوء على أهم المراحل التي مر بها الفن التشكيلي الجزائري وصولا إلى ما هو عليه ليومنا هذا وذلك من خلال تجارب فنية معاصرة من قبل فنانيين أبدعو في هذا المجال مواكبين المعاصرة وما أتت به من تطورات ونخص بالذكر هنا الفنان التشكيلي محمد خدة.

إن الذي استنتجناه من خلال هذه الدراسة أن التصوير الجزائري كان له وجودا منذ القدم وإن كل مرحلة مر بها ساهمت في تطوره من جانب معين وذلك من خلال ما نلتمسه في التجارب الفنية للمشاهد البصرية في التصوير المعاصر.

هناك العديد من الآفاق البحثية التي يفتح عليها هذا الموضوع ولم يتسنا لبحثنا الإحاطة بها فيمكن أن تشكل موضوعا مستقبليا لبحوث أخرى من خلال تسليط الضوء على تلك المنجزات الفنية التي تشهدها الجزائر حاليا من قبل فنانيين شباب (خريجي المعاهد والمدارس الفنية) أبدعوا في مجالهم الفني وما مدى تأثيرهم على الساحة الفنية.

6. التهميش:

1-المشهد في المعجم والمصطلح-دراسة المشهد السردى للثلاثيات الروائية، ا.أسماء بوبكري، جامعة احمد دراية ، ادرار

2- ويكيبيديا

<https://ar.m.wikipedia.org>

3-مجلة ديالي 2014 ، العدد الثاني وستون، مستويات تلقي الفن البصري لدى طلبة جامعة ديالي ، ا.م.د.نجم عبد الله عسكر،جامعة ديالي، كالية الفنون الجميلة، قسم التربية الفنية

4-نظرية التصوير -الفن عند السيد قطب، دار الفاروق، عمان الأردن، ط1، ص.80

5-عناصر العمل الفني دراسة جمالية،د.رمضان الصباغ،ص23-27.

6-الفنون لغة الوجدان، بشير خلف، دار الهدى، الجزائر، 2009،ص.49

7-الفن المعاصر صوره وأثاره فلسفته وأحكامه، علي بن حمزة الغمري، دار الأمة، ط1، 2010، ص.20

8-القيم الجمالية في أعمال الفنان محمد خدة، بن مخلوف سليمة، رسالة دكتوراه، دراسات في الفنون التشكيلية، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون، جامعة تلمسان، 2017-2018،ص.28

- 9- الفن المعاصر اتجاهاته وأساليبه، ا.د. بلاسم محمد، ا.د. سلام جبار، بغداد، مكتب الفصح للطباعة والنشر، 2015، ط1، ص.5
- 10- المرجع نفسه، ص.6
- 11- المرجع نفسه، ص.12
- 12- التدليس على الجمال، الصادق بخوش، المؤسسة الوطنية للاتصال، النشر والإشهار، 2007، ص.22
- 13- الحركة التشكيلية المعاصرة في الجزائر، إبراهيم مردوخ، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيغود يوسف، الجزائر، 1988، ص.14
- 15- مسيرة الفن التشكيلي بالجزائر، إبراهيم مردوخ، ط1، مطبعة دار هومه، 2005، ص.80
- 16_ المرجع السابق، الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر، إبراهيم مردوخ، ص.28
- 17- المرجع السابق، التدليس على الجمال، الصادق بخوش، ص.25
- 18- تاريخ الجزائر الثقافي، أبو القاسم سعد الله، ص.365
- 19- المرجع نفسه، ص.367
- 20- المرجع نفسه، ص.377
- 21- المرجع السابق، مسيرة الفن التشكيلي الجزائري، إبراهيم مردوخ، ص.86

22_المرجع نفسه، ص.87

23- المرجع نفسه، ص.87

24- المرجع نفسه، 88.

25_الحركة التشكيلية المعاصرة في الوطن العربي، محمد الحسين جودي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، ط1، 2007م -1427هـ، ص.142

26- المرجع السابق، مسيرة الفن التشكيلي الجزائري، إبراهيم مردوخ، ص.89

27_المرجع نفسه، ص.89

28- المرجع نفسه، ص.90

29- المرجع السابق، الحركة التشكيلية المعاصرة في الوطن العربي، محمد الحسين الجودي، ص.146

30- المرجع السابق، مسيرة الفن التشكيلي الجزائري، إبراهيم مردوخ، ص.201.

31-المرجع السابق، القيم الجمالية في أعمال الفنان محمد خدة، بن مخلوف سليمة، رسالة دكتوراه، ص.293.

7. قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزء الثامن، 1985.
- إبراهيم مردوخ، مسيرة الفن التشكيلي الجزائري، دار هوم، الطبعة الأولى، 2005.
- إبراهيم مردوخ، الحركة التشكيلية المعاصرة بالجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، شارع زيغود يوسف، الجزائر 1988.
- الصادق بخوش، التدليس على الجمال، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، الجزائر 2007.
- محمد الحسين جودي، الحركة التشكيلية المعاصرة في الوطن العربي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الطبعة الأولى، 2007م-1427هـ.
- نظرية التصوير - الفن عند السيد قطب، دار الفاروق، عمان الأردن، ط1.
- رمضان الصباغ عناصر العمل الفني دراسة جمالية.
- بشير خلف، الفنون لغة الوجدان، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- علي بن حمزة الغمري، الفن المعاصر صوره وأثاره فلسفته وأحكامه، دار الأمة، ط1
- ا.د. بلاسم محمد، ا.د. سلام جبار، بغداد، الفن المعاصر اتجاهاته وأساليبه، بغداد، مكتب الفصح للطباعة والنشر، 2015.

الدراسات السابقة:

- بن مخلوف سليمة، القيم الجمالية في أعمال الفنان محمد خدة، رسالة دكتوراه، دراسات في الفنون التشكيلية، كلية الآداب واللغات، قسم الفنون، جامعة تلمسان، 2017-2018.

المجلات:

- مجلة ديالي 2014 ، العدد الثاني وستون، مستويات تلقي الفن البصري لدى طلبة جامعة ديالي ، ا.م.د.نجم عبد الله عسكر، جامعة ديالي، كلية الفنون الجميلة، قسم التربية الفنية.

المقالات:

- ا.أسماء بوبكري، المشهد في المعجم والمصطلح-دراسة المشهد السردي للثلاثيات الروائية، جامعة احمد دراية، ادرار

المواقع الالكترونية:

- ويكيبيديا <https://ar.m.wikipedia.org>